كم ذا يكابد عاشق ويلاقي..!

في طريقي إلى العمل كنت أكمل حظي من النوم، فلم أنم ليلة أمس بسبب مشادة مع زوجتي العزيزة، عنَّفتني خلالها لأنني لا أملك فائضًا يمكنها من شراء الفستان الذي ذهب بريقه بما تبقى من عقلها، بينما اشترت صديقتها كل ما أثار جنونها، هي لا تريد أن تفهم أن بيني وبين زوج صديقتها تلك ما بين السماء والأرض.

_ لقد كان معي على المقعد نفسه، غير أن حظه في التعليم كان قليلًا، بعكس زوجك.

ردت بلهجة لم تخلُ من الفخر بزوجها:

_ دا من حظي الهباب..

أجمل ما في زوجتي ألفاظها المبتكرة، تثري معجمي دائمًا، تزيده كل يوم ألقًا على ألق، أكثر ما أخشاه أن تنقل (فيروسات) لسانها إلى ألسن بناتها الأربع.

_ آه .. تحزن البلهاء لأجل فستان..! قلتها بقلب احترق هَمًّا.

راقتني تلك الجملة، تصلح لأن تكون (تيمة) لرواية جديدة، بل لتكن قصة قصيرة، فروايتي الأخيرة لا تزال نُسخها نائمة على رفوف مكتبتي، تشكو خيوط العنكبوت الذي سكنها بعد أن أصبحت أتناسى إزالة التراب عنها، فأقام حفلًا على أغلفتها، لم أفقد منها سوى النسخ التي أهديتها للأحبة والصحاب، لتكن إذًا

قصة قصيرة أو قصيرة جدًا، أنشرها على (الفيس بوك) ستنال إعجاب الأصدقاء، وتنهال عليها المشاركات خاصة من أولئك الذين يكيلون السّباب للنساء على صفحاتهم ليل نهار، يعالجون مأساة واقعهم في عالمهم الافتراضي.

حاولت غير مرة أن أحلق خارج هذا الوطن الذي لا أستطيع العيش بعيدًا عن أسواره؛ بحثًا عن فرصة تستحق، ربما أجد مكانًا يقدّرني، آخر محاولة كانت هذا العام، ضحك الحظ في وجوه بعض زملائي، لكنه أبى معي إلا العبوس، أحبني هذا البلد كما أحببته، لكن بطريقته..!

وصلت أخيرًا إلى مكان عملي الذي يقتات على ما تبقى منّي ..

_ تأخرت ليه يا أستاذ فرحات.

قالها العامل، وهو يفتح باب المدرسة بشموخ، وكأنه يفتح باب الوزارة.

_ يا فتاح يا عليم، ما هذه الجلبة؟

_ شكوى من الأستاذ محمود.

في مكتب المدير، يقف أحد أولياء الأمور مستندًا على عصاه ريثما يفكر في استخدامها، وإلى جواره يقف ابنه منتفخًا وكأنما أحضر الشرطة، المدير يبرر ويعلل في بلاهة ممقوتة، و "محمود" يتحدث بالمنطق مع من لا يعرفون للمنطق معنى،

نظرت إلى المدير نظرة يعرفها تمامًا، خرجت بعدها من المكتب حتى لا أشتبك مع ولي الأمر، أو أهدر هيبة المدير أمامه.

****

_ كم مرة نصحتك، تصرُّ على جلب المتاعب لنفسك..!

_ فقط عنّفته لأنه أساء الأدب عندما سألته عن التكليف الذي طلبته منهم. أجابني بضيق.

_فالح .. عنّفه كل يوم يا محمود.

أتفهمه رغم عناده، لا يزال شابًا متحمسًا للعمل، لم تأكل الهموم رأسه بعد، غدًا تعتدل مقادير الأشياء في عينيه.

في الفصل، جلس طلابي في انتظار معلمهم المتأخر، يحرص بعضهم على أن ينادوني (دكتور)، لا يعلمون أن هذا اللقب يذكرني بالخطيئة التي ارتكبتها منذ سنوات.

درس اليوم نص عنا "حافظ إبراهيم"، كم ذا يكابد عاشق ويلاقي، ما إن وصلت لقول حافظ:

والناس هذا حظه مال وذا علم وذاك مكارم الأخلاق

انتبهت وكأنني اقرأ البيت لأول مرة، استغرقت في ضحك هستيري، استحال ذهولًا عندما تخيلت أن "حافظًا" يقف أمامي قائلًا:

_ قد أخذت حظك من هذه الحياة يا دكتور..!